طرائق قددا...

(1)

إنّها امرأة أنانية، باللغة القسوة، فاسدة، ومدللة، ولأنك تحبها سترى كل هذي العيوب كأنها وحوش ضارية تنهشك، بينما أنا، ومن زاويتي هذه: أراها عيوبا عادية، أخطاء يمكن التغاضي عنها.. بل وأشفق على امرأة مثلها تتوق حد اليأس إلى المساعدة، ولكنها لا تصرح بذلك أبدا.. !

(2)

عندما تكونان معا فإنكما تقطِّعان بعضيكما إربا، وعندما تبتعدان فإنكما تقطِّعان نفسيكما إربا..!

(3)

كان بإمكان حمامة بلهاء التقاط نكاتها بكل سهولة، ثم تقهقه لها– تلك العجماء – حتى تشرق بضحكاتها.. روحها كانت من الخفة بمكان، حتى لترغمك على مجاراتها وإن كنتَ سيد الكآبة، لكنه لم يفعل! ما كان عقله ولا إدراكه يسمحان له بمتابعتها، ولا عبور كل تلك الجسور التي تبرع في بنائها: ذلك التواصل المبني على ذبذبات خفية ما، لم يكن متاحا، لكنه – من جهة أخرى– كان يجيد فنون الحماية إلى أقصى حد، كان حقا من النوع الذي لا يأبه أبدا بمقايضة أمنه وسلامته، وروحه حتى، مقابل راحتها فحسب... وهذا كان أكثر من كافٍ...حقا.

(4)

– أخبريني فقط، أهو أنا ما تحتاجينه حقا! أنا أنا ! أم هو حبي؟! إن كان حبي، فعليك أن تعرفي أنك تملكينه ..هذا مفروغ منه.

– إنه أنت ..أنت فقط

– لماذا؟! حبا في الله لماذا؟!

– أعتقد... لأنك تملك ما لا أملكه أنا، ما لست عليه أنا: أنت أمين، مخلص وصادق، ويمكن الاعتماد عليك.

– نعم نعم، كل الفضائل التي لم أعد أملكها، كل الأسباب التي كنت تحبينني لأجلها، والتي كنت أكثر من سعيد للتخلص منها، لذا ترين، أنا لم أعد أفي باحتياجاتك، وأعرف أنك لم تعودي تفين باحتياجاتي كذلك.

– آه... أنا لن أزعجك بعد الآن.

– تعلمين.. لن يكون لنا أمل معا.

– أوه، أكان لنا أمل في فراقنا !

(5)

تتبّع الشغف، ترويض التحديات، استكشاف المجهول، وتعبئة الرصيد: لهاثٌ في لهاث، وكلها أسباب تقود للدنيوي الزائل: لذة تنقضي بأزل، طال أو قصر، وسائل نمضي معها وبها مهلة الحياة، ريثما تقبض الروح، كأننا نأمل أن نعيش الملهاة وفق شروطنا الخاصة، لنجد أننا في حقيقة الأمر ليس أكثر من كريات على منضدة؛ تدّقها العصي لتسيرها في مسارات أبعد ما تكون عن العشوائية: محفوظة، مدركة، مكرورة، ولكنها أبدا ليست السوداء منها.. السوداء وحدها تستعصم حتى الضربة المفلحة والوحيدة في صميمها، مرة .. وإلى الأبد.

(6)

كانت له تلك الطريقة العجيبة في نطق اسمها، تلك الطريقة الفريدة التي اختص بها وحده؛ يطعِّمه بدفء كفِّه متمهّلا، يحنو عليه بعين روحه، وباقتدار يمنة ويسرة يميله، ليترقرق له، كأنه يشقشق، ثم ما يكون منه إلا أن يتلمظ مع كل حرف منه استحسانا، قبل أن يدور به على مراكز الحس منه، واحدة واحدة، وعلى مهل! وكانت حرفة التذوق عنده تطربها، أرأيتم من قبل من ينطق اسما فكأنما هو يشمه، قبل أن يهبه نفحة التمطي بكامل الثقل على مخارج الحرف منه! طويلا، ممتدا، كأنه يعرج إلى السماء. حتى صارت هي تحب اسمها، لم يعد ذلك الاسم المألوف الذي سئمته وملته واختنقت به.

الذي أرهقها كيف تشرح معناه، وتعدّل نطقه لكل وافد، بينما جاءها هو جاهزا : يدرك معناه كأنه خلقه، وينطقه كأنه نفخ فيه من روحه، لذا صار اسمها الصغير يعني لها أشياء وأشياء، ما أفلحت يوما في تعدادها، ولا أربكت نفسها في محاولة إدراك كنهها، فقط سمحت لكل براعم القلب منها أن تتعبد على أعتاب تراتيله. وكانت تستكشف نواياه، ومقاصده، وحالته النفسية بمجرد نطقه له: هاهو ينطقه بتلك الطريقة الكسول والمتمهلة، يشبه هرًّا يتمطى مقرقرًا أمام المدفأة في كانون: إذن هو راضٍ ومرتاح، هو الآن ينطقه على عجل كأن قطارا على وشك أن يدهمه: هو منتمٍ ومعتاد، هو الآن يعطي كل حرف منه سلما موسيقيا خاصا، يمهره ببصمته الخاصة، ويهبه من أصل رائحته نفحة علوية: هو الآن عاشق! إيه، يا لاسمها كيف صار بوابتها إليه، وكيفية نطقه له مفتاحها ! لتجد أنها صارت تقع في حب اسمها في كل مرة يضحك فيها على فمه، كأنها مرتها الأولى معه، وإن صرخ به متنمرا. لكنه الآن، الآن صار يقفز عنه، يتجاهله، ويتحاشاه، كأن حروفه القليلة أمست تحمل شبهة العدوى، ونوتات البورانا، وكل أزمات النفور، ليصير اسمها غريبا، يتيما، ومنبوذا، صار مهجورا تعسا، مكتفيا بأن يقبع في ركن ما من جواز سفرها، بعد أن كان كل حرف منه يختصر السديم. أما وقد هجره لسانه، ونبذه صوته القادم توا من تحت العرش... فقد عرفت أن روحها قبضت، وانتهى الأمر.

(7)

كان من هؤلاء الذين يملكون ذلك النوع من العقول: عالية التنضيد، محكمة التوضيب، محددة المسارات، وبالغة الرتابة! ذكاء مسبق الإعداد، وصرامة تكاد تكون محببة، ورأس محشو بالأرقام العقيمة التي لا نبض فيها أبدا. وكان لا يجد أدنى صعوبة في التخطيط لحياتهما معا إلى العشر سنوات المقبلة: بكامل التكاليف والهيئات، محددا كل مسار من الممكن أن يتخذاه، أو يتجاهلاه، أو حتى يخطر على باليهما، مستبعدا كل نسبة خطأ ممكنة، بذلك التصميم العجيب، الذي يصنع منه كائنا متحفزا؛ على أهبة الاستعاضة، متمتعا بكامل اللياقة التي تكفل له صياغة البدائل.. المحكمة!

وكانت هي تملك ذلك النوع من الذكاء الذي يملأ كل فراغاته، ويقيل كل عثراته التي لا يقرّ بها أبدا، ليصير للأرقام معها حسّ، وروح، ونبض، وتصير للخطط في مخيلتها جنوح واحتمالات، فتأوّل الخطأ دوما ليمسي مطبا اضطراريا، يصيب الرأس بكدمة، والفم بضحكات، وتصير الخيبات ليست أكثر من محفزات حياة، تعيد تدوير ما يبس أو احترق، حتى البدائل صاغتها على طريقتها المنمقة، لتصير في عينه أكثر من ملائمة، ينم اختيارها أو إيجادها عن شاهق ليونته، بينما لم تكن في الأصل إلا وجها من وجوه المعتاد، والمألوف والمتاح..! كان الأمر ببساطة أنه بينما كان هو يبني القلاع الشاهقة، كانت هي تهتم بتعبئة الفراغات، وكل ما يصنع الفارق، وآثار الفراشات. لقد كانت تعنى بالتفاصيل والمنمنمات، يا لله كم كانت تعنى بالتفاصيل... والمنمنمات!

(8)

اقترابه وحده منها كان كافيا ليملأها بذلك المزيج الطاغي والمربك من الكآبة، والقلق، والحسرة، والفزع! على حافة نصل مسنون معه كانت تحيا: ببالغ التحفز والوجع، وكانت تتقدّم...خطوة إلى الأمام نحوه، وسدًّا يستطيل إلى الأعلى بينهما! ورغم أنّ كل السدود الآمنة التي اصطنعتها برهنت على وهنها أمام هكذا اجتياح، إلا أنها لم تكف أبدا عن مواصلة البناء، هوس البناء المضاعف، لتصد كل هجمة استباقية، تعرف أنها لابد مهيلة كل ما أعلت بنيانه. ربما سيطر عليها رهاب الأماكن الشاهقة، لكنها تجاهلت كل ذلك القلق الممض، وكل تلك الغصص المعربدة في الحلق، لتقترب، وتقترب...جانب خفي فيها فقط كان يطلعها على مصيرها المحتوم: الاحتراق حتى ذرة الرماد الأخيرة كان مصيرها، وكانت تعلم ذلك جيدا، كانت تعرف أنّ العنقاء ليست سوى كائن أسطوري آخر، ينضم بجدارة إلى كل تلك القوائم الممتدة من كائنات الأساطير، وأولها هو...

(9)

- ولكنك لم تجرب هذا من قبل .
- أوه نعم، تماما كما لم أجرب إطلاق النار على رأسي...من قبل!

(10)

حسنا، كانت كئيبة بطبعها، ذلك الهاجس الملح الذي يجعلها تحيل كل بسيط إلى أزمة كبرى: تحتاج إلى إعمال ذهن، والكثير من التركيز، كان أكثر من متلبّس بها، ولكن.. معه لم تجد فرصة واحدة تلتقط فيها أنفاسها، أو تغلق فمها حتى. مادام هو بالجوار.. فهي في حالة سعادة دائمة؛ ضحكاتها لا تنقطع، تعبّ ما تمنحه الحياة لها كآخر شهيق: بجوعٍ، ولهفة، وإحكام، كأنها جرعة الهواء الأخيرة في المجرة! مجنونة، كان يخبرها ، مباشرة قبل تسديدته التالية في مرمى سعادتها. ذلك البريق، ألم يكن أكثر من كافٍ لينبئ الجميع بأنها حيّةٌ..جدا !

(11)

ملولٌ، لامبالٍ، صموتٌ، وكئيب؛ هذا بالضبط ما سيؤول إليه في علاقة زوجية طويلة الأمد، أخبرها، حذّرها في الواقع، لذا: وجدت نفسها مرغمة على التكيف على كل تلك الخواص المتكهنة للرجل الذي اختارته لتكمل معه شوط الحياة! ترى.. هي كانت مضطرة لتقبل مفهومه العجيب، والذي أنكرته بكل قوتها من جهة، هناك .. في لاوعيها، حيث لا يسمح له بالدخول، وحيث ما فتئت ترفع لوائح نقاط النظام، بينما لا يشهد برلمانها المصغر، غير فتاتها المحتجز في رأسها الصغير والجميل، كما اعتاد أن يصفه...! ولكنها من جهة أخرى، سلّمت لكل ترّهاته التي تنافي أبسط مظنّات الفأل، فقط لأنها تعلم بأن ذلك الاستسلام بالذات كان وحده المعجزة التي تسمح له بالرضوخ أخيرا لألف باء الحياة على أية حال! وفازت به، تظنّ، ثم صار طابع عدم الاهتمام عنده ملازما، لا ينفك عنه، كأنه صفته الجينية التي ولد بها: هو موجود فقط، لائحة ترفعها عاليا باسمه، تخبر الجميع أنه: مرحى أيتها الآنسات، قد تم حجز هذه النسخة هنا ..! لم يخبرها أحدهم من قبل، أن هذه النوعية من الحياة بالذات، هي شكل آخر من أشكال الموت الشتى، و قد تم إثبات جدارته جدا، في كل ثانية تقضيها إلى جانب رجل اكتفى بكونه رقما وطنيا مسجلا، في خانة تكفل احتراما ومكانة اجتماعية ما من بطاقتها..! ثم صارت تتساءل، في سرية بالغة، بينها وبين التعيسة في رأسها الصغير والجميل: أهذا حقا ما كانت تريده لفرصة الحياة الواحدة تلك؟! أيشفع له كل ذلك الزخم الذي يفيض به قلبها لواحدها! ثم... متى وجدت تلك الطباع الجديدة طريقها إليها ؟! العصبية المفرطة، التحفز التام، والاشتعال الذي لا ينتظر الشرارة ليبدأ ، لقد تحولت بجدية تامة إلى كائن متقلب المزاج، لا يطاق...وهذا بالضبط ما حذرها منه لمّا اتفقا على إتمام تلك المهزلة. ..!

(12)

ألم يكن بالنضج الكافي ليفهم أن الشغف الأول، وجنون البدايات، ليسا إلا توطئة لبناء ذلك الجسر بالغ المتانة: حصاة بحصاة؟! ألم ينبئه ذكاؤه أن الشرارت تقود إلى الحريق، والحريق مآله أن يهدأ ليصير نارا حنونا، برتقالية بهية، تشيع الدفء والأمن والسكينة في أوصاله المتكلسة، لكنه أبدا لن يشتم رائحة الشياط! ألم يكن التراب أبدا، حلا ناجعا لكل الحرائق المقيمة والجائعة ..أبدا ! حفنة رضيّة سخيّة، تنهي كل إرادة للتمدد، والاستحواذ، وتختصر كل تلك المسافات المتربصة، والحصون التي تنتظر..! الحرائق التي تصرخ وتزمجر تنهبنا، تقتات على أعصابنا ويقيننا بعدل السماء، حرائق تجفل لها كل ذات روح، إلا نحن..نؤثر الإقتراب لنستطلع، لنذوق، لنحترق..! لا يعيب النار إلا مكتوٍ بها، ولا يزكّيها إلا من أذهبت خبثه، وجلّت للناظرين سبائكه....! بين المطهّر والجحيم.. هات البينة.! ثم إن هنالك أحاسيس لا ننتهكها أبدا بتكرارها، وإلا صارت مفرغة من قيمتها وجلال مسماها، كالحب الأول مثلا: عاصف صاخب، يسم الجلد، ويصهر العظم، لكننا نعلم أننا لن ننالله غالبا، سيتراجع في الذاكرة مكانا قصيا، لن يراوحه، لكنه في الأغلب لن يكتمل، كأن كل ذلك السحر أكبر من أن يتحقق، كأن الحياة تطلعك على أحد أسرارها: اكتف بما أتيح لك، ولا تنتهك الحجب، فبعض ما وراء الحجب أدعى للهجر، وبعضها أدعى للفرار! كذلك شغف البدايات، إن بحثنا وتقصينا واستبدلنا وتسورنا، ما الممكن أن يملأ ذلك القلب بعد أو أن يبهره؟! أي وطن نتوقع ان يسكننا ونسكنه بعد كل ذلك النزيف؟! في كل مرة نبذل فيه ماء الوجه: نعطي، نقرأ، ونحلل، نهب الآخر قبسا منا، نمد يدنا إلى قعر القلب نلتمس جذوة، لنهبها بكل التوقع الملح والمفزع، بكل ذلك الرجاء الصاخب في العيون، بأن تحتضن الجذوة لتنبت حريقا..! في كل مرة، جذوة تلو الأخرى يا صاح، فلا يتبقى بعد إلا الصقيع..! يا للبؤس! كيف صرنا نزدرد كل تلك المعاني الحلوة، نعطل حواسا، ونوقظ أخرى، نعمل إرادتنا الحرة، حين كان علينا أن نخرسها، ونكممها وهي تستجدي إعمالها، ما الذي صرنا إليه يا عزيزي؟! ما الذي صرنا إليه؟!! نحن لا ننزف الزيف صدقني.. نحن ننزف قدرتنا – رغبتنا– على قراءة البوصلة.

(13)

كأيّ فراشةٍ وقعت في يد طفلٍ نزقٍ خبيث... سجنها، في قارورة زجاجية، مصقولة شفيفة، لتسمح بالقدر الأعلى من التلوّع = ترى الألوان كلها بعينها المدربة على الكلال، ثم لا تمسّها، لا تستنشق كل تلك الأطروحات من خطط السعادة المحكمة والجديّة خارج القارورة، يقول: دعسوقتي الجميلة لن تحتمل كل هبات النسيم تلك، أجنحتها لن تحتمل ثقل الهواء في الخارج الصاخب والمريع... بينما كانت أجنحتها ترتجف بقنوط = زفرت آخر قبس محتمل، طوت جناحيها بعناية فائقة، وانطفأت.

(14)

كانت تحبه، هذا أمرٌ مفروغ منه، تحبه ذلك النوع من الحب الذي يبدأ عمرك معه، ويستجد تقويم أيامك تبعا لسريانه فيك، الحب الذي تعرف أنه سيدوم، توقن بأنه سيدوم، كما يعرف ويوقن هو أنه سيدوم... لقد كانت تحبه. لكنه اليوم، لكنها اليوم... تعرف! صارت تحبه بطريقة أخرى، شيء ما جعلها تدرك أنها تحبه اليوم بلون جديد، اليوم تراه هي بعين جديدة، أم أن روحها هي التي اختلفت! كسا وجهها ذلك الانشراح، كأن جناح ملك كريم داعب محياها لتوه، وصارت تفكر: كيف لمن في مثل عمرها، أن تملك رفاهية قولبة الأشياء من جديد! في عمرها الذي عليها فيه أن تفقد الدهشات، وتنعم بسلام شمول المعرفة... هي التي قضت عمرها تبتعد وتقترب، توازن وتقيس، تبني وتعلي، حتى ظنت أنها حازت القالب الذي يسع روحها الممتدة: من جسدها الذي غزلت كل ركن فيه بالثقة، إلى واقع أن لا حيز يسع ذلك الجسد. هي تؤمن الآن بأن ذلك القالب الذي جدّت عليه، ونمّقته ليسعها يوم ترفع يديها عاليا، وتسلمه متعة التسيير، صار لذلك القالب نكهة جديدة، هكذا، وفجأة، صار له اسم جديد، اسمٌ... كالوطن مثلا. لقد أسلمها حقا ليقين جديد، يخرجها من ضيق الحب، إلى سعة الوطن، الوطن الذي هو الملاذ الرحيم، التواد العطوف... و الرائحة التي تتوه فلا تدري جسد أي منهما تسكن.. في هذه اللحظة بالذات، هي تعرف: هذا الإيمان الذي بدأ يتغلغل فيها، صار يلون كل ما هي عليه ويصبغه بلونه، لذا ... صارت تحبه بنكهة جديدة، بنكهة الإيمان.. بأنه الوطن!

(15)

حقا؟! أكان عليّ حقا أن أستسلم لكل نزعات أمومتك، وإفراطك في تدليلي، وجهوزيتك التامة لتلبية أكثر احتياجاتي بساطة وتلقائية، وشغفك في الإطباق على أنفاسي، والتصاقك الدائم بي، كالهرة، كالعث، ككل ما لا تفكّ منه إلا وأنفاسك مزهقة!! هل بهذا كله تدللين على حبك لي! حقا ؟! أف... انظري إلى أين أوصلتني!!

طيب طيب، دعيني أخبرك: أنا أحبك وأنت في الزاوية البعيدة، تولين أظافرك كل اهتمامك، وأنت تتأملينها، كأن على أطرافها منقوشة معادلة الحمض الأميني، أو اصطف عليها جيش الفوهرر، وأحبك بذات القدر، وأنت تعنين بشأنك الخاص، تاركة لي كل مساحاتي، لأقرر شأني أنا الآخر، أنا أحبك عندما أكون أنا الآخر، وأحبك أكثر عندما بكل عفوية الكون، تدركين متى عليك الابتعاد، وإخلاء كل الطرقات المؤدية لانفرادي بدائرتي، هل عليّ أن أطلب منك حقا أن تدعيني أدرك كنه آدميتي.. بعيدا عنك، ولو قليلا!

انت لست أمي، هل عليّ أن أثبت ذلك! أنا لست في طور التحول إلى أوديب لو كنت مصرة، ولا، لست أعاني من عقدة نقص، ولم أعش طفولة مشردة قاسية، أطارد فيها الذئاب، أو تطاردني..ليس مهما، ولست زحل، لا.. في الحقيقة لم أكن زحل من قبل، لأسعد بدورانك حولي هكذا..ثم صدقا، لو تعلمين كم تدفعني كل محاولاتك لابتزاز عاطفتي بطريقتك المفرطة في العطاء تلك إلى النفور، كل ذوبانك هذا.. لماذا؟! أنا لست قهوتك كما ترين، فلم كل هذا الذوبان؟! أشفقي على ذاتك وملامحك، وحدودك، وكل أبجديات اختلافك... أرجوك. ثم لماذا تجدين أن عليك إثبات عاطفتك نحوي؟! لمَ كل هذا التوحش في الإصرار على إثباتها؟! لم لا تأخذين الأمر ببساطة: نحن نتشارك عاطفة، عاطفة..وليس جسدا، ولا ذاتا، ولا كينونة، أنت تجتاحينني وتقوّضين الإنسان فيّ بإسرافك، والتصاقك، وتبذّلك....ابخلي يا امرأة، ابخلي، تعلمي البخل، وتباعدي، كوني نفسك ..حاولي أن تكوني نفسك، ولا تستمدي إحساسك بأنوثتك، فقط لأنني في حياتك... لأنك حزتني، أنا لست ملكية منقولة، وما من صك يثبت ذلك.. أبدا

أف... أنت أنثى مكتملة يا عزيزتي، فلم لا تستغلين ذلك بحق الله!

ثم أنا أريد دوائري، ابتعدي عن دوائري بحق الله يا امرأة!

(16)

- لم هو بالذات؟!
- لأنه ..عطوفٌ جدا
- وهل باقي الرجال قساة؟!
- لا أدري، ولكنه...عرفني في أفضل حالاتي
- يا له من سبب بائس.
- كحالي، ما العجيب هنا !
- العجيب أننا نتشبث بمن عرفنا في أسوأ حالاتنا، فآثر أن يبقى، يوم دعته كل الأسباب أن يغادر.
- ولكن الذي عرفنا في اسوأ حالاتنا عرف ما صرنا إليه، ما جُعلناه، بعد أن لاكتنا التجربة، وأزهقت فينا حلاوة الفجأة الأولى، أنا لم أرد يوما إلا الذي عرفني أنا الحقيقية، التي لم تسمها النار، فإن كان لابد من الحريق، فليكن الأول.
- وماذا عمّن نفخ في رمادك ! أليست معجزة البعث أولى بالعرفان، من كل فنون الموت التي تتوقين إليها ؟!
- لا أدري حقا، فقط الذي عرفنا في أحسن الحالات، عرف بكارة الروح فينا، لمّا كنّا صفحة بيضاء: لا نحفل إلا بمفاهيم علوية، ونؤمن بالمطلق، لمّا كنّا مسوّرين جدا، لأننا لا نَعرف.
- وما الذي قادتنا إليه المعرفة؟!
- أن صرنا في أسوأ حال...
- كيف؟! المعرفة جعلتنا في أسوا حال؟!
- احترقنا بها.. كوتنا برهاب الاقتراب، وصيّرتنا رمادا
- والذي بعثنا من مرقدنا ؟!
- حسنا، وما الذي تهمه كل الحرائق وانطفاءاتها... بعد أول حريق؟!

(17)

– كم من الوقت تظنّ بأنني سأستمر في دعمك؟!!

– أوه، مادمت بدأت في احتساب الوقت من الآن..فالأفضل ألا نستمر!

(18)

هل كان عليه حقا أن يستمر في المحاولة؟! مثله من وضع كل ثقله في طرف واحد من القارب: وضّب كل تلك الجعاب، كدّسها، وتأكد من إحكام غلقها، واتساق ترتيبها، ثم وبكل بؤسٍ محتمل، احتضنها= آماله، وتوقعاته، إخفاقته، وكل الإستجداءات التي اقتاتت على ماء الوجه.. بينما على الطرف الآخر تمدّد الوهم بكل تجلياته: فارغا، متخليا، مستغنيا.. وأبعد ما يكون عن الرفيق... العجيب أنه هو، مازال يجد في ضميره متسعا ليبرر غرق قاربه! أنا لست لك، يقول الوهم على الطرف الآخر من القارب، أنا لا أُدفئ إنكساراتك، ولا أجدّ لجذب كل تلك الحبال التي تلقيها على بابي، يستطرد الوهم: الجليد هو حالتي المثلى، فاقنع بها إن شئت! وصاحبنا لا يملك إلا أن يزيد في تكديس بضاعته؛ مسلوب الإرادة، هملا.. إيه، ما بيدنا غير أن نراقب شكلا آخر من أشكال الموت، فلربما كان عليه أن يدرك بأن الحياة تكون بالغة الكرم معك، يوم تصفعك بكامل قوتها، وعلى كلتا وجنتيك، فقط لتقنعك، بأن تعطيها ظهرك، وتكف عن فعل شائن جدا، كالأمل!

(19)

أحقا تريدُ أن أبتعدَ عنكَ ؟ حقاً؟ فكم أبتعد؟ خطوةً؟ خطوتين؟ عشراً؟ هل تريدُني أن أبتعدَ بما يكفي لتبتعدَ عن عيني أم لتبعدَني عن قلبِك؟ كم من الوقت تريدُ؟ ساعةً من نهارٍ؟ ام كم بالضبط؟ ماالذي ستفعلُه في ذلك الوقت الذي ستبتعدُ فيه عنِّي؟(لعلكَ تدركُ أنَّك انتَ من سيبتعدُ وليسَ أنا ! فهذا ليس خياراً بالنسبة لي!). مع من ستكون؟ هل من ستكونُ معهم أحب الى قلبِك مني؟ أتريدُ الجلوسَ في صندوقِ ال(ولاشي)؟ الا يمكنُنا أن نجلسَ فيه معاً؟ لن أنبسَّ ببنتِ شفة ...صدقْني سأكونُ طيعةً أنيسةً صامتةً، كهرة أمامَ موقدٍ في شتاءٍ قارسٍ، لن تسمعَ منها الا هريرَ الرضا بقربها من الدفء! أقسمُ لك أنني لن أسألَك عن زميلاتِ العملِ ، وماذا قُلْنَ لك عن رباطِ عنقِكِ الجديدِ ، ولن اعترضَ على العطرِ الثمينِ الذي ترشُّه على منديلِك كلَّ صباحٍ (بالمناسبة: أنت تُفرطُ في هذا كثيراً ، أو ليس المبذرين إخوانَ الشياطين؟ شيئاً من رحمةٍ يارب!)

سأجلسُ هادئةً كتلميذٍ شاطرٍ في حضرةِ استاذِه ، بل كمريدٍ في حضرةِ شيخِه ، ليتك تعلم أنني أعيش لتلك اللحظات لاغير ، لامتعةَ لي الا أن أدورَ في مدارِكَ وحدَكَ طوالَ الوقت . هل تريدُ شيئاً من حرية؟ هل خنقَك اهتمامي بك؟ طاعتي لك؟ رغبتي ولهفتي لرضاك؟ لعلَّ هذا لأن قلبك ملونٌ وأنا بقلبٍ لم يعرفْ الا لونَكَ أنت . لقد كنْتَ زارعَ القلبِ ، وقاطف ودادِه .... ألست تعلمُ أن للمحبةِ ظواهرَ شتى ، وللشريكةِ أشكالا عدَّة: منهنَّ من تتهالكُ في حبِّ واحدِها فتلكَ البكرُ القلبِ الندية الروحِ التي لم يلمسُ قلبَها لامسٌ... أحنُّهنَّ على ولدٍ وأوفاهُنَّ لزوجٍ وإن أنكرَ أو استنكر... مخموماتُ الفؤادِ عفيفاتُ الودادِ إن جالسَها واحدُها – بحقِ كلمةِ اللهِ_ كانت له ودوداً ولوداً عؤوداً عليه حتى وإن غضب! ...وإن فارقَها كانتِ الوفيةَ الصفيةَ التقيةَ فلا تخونُه في غيبٍ ولاتفارقُه حتى وإن فارقْ ... إنْ كمدَ كمدَتْ وإن تبسمَ تهلَّلَتْ أساريرُ القلبِ قبلَ الوجهِ ... عضدٌ لهُ حينَ لاعضُدْ وجيشٌ بأكملِه يهتف: نخوض البحرَ معك، فأنت الأمةُ وإن كنْتَ وحدَك ...

تقولُ لهُ حينَ فاقةٍ: نحنُ بأتمِّ خيرٍ مادمْتَ بخير... وحين ميسرة: ذاك مالُكَ ماأفضْتَ علينا فهو لكَ أجرٌ وخيرُ الدراهمِ تلكَ ماطابَتْ بهِ نفسُكَ... تلك التي لم يطرقُ قلبَها الا واحدَها وإن جفا... اما من طرقَ قلبَها الحبُّ مراتٍ عدة فتلكَ قلبُها كجناحِ فراشةٍ يفقدُ القدرة على الطيران بكثرةِ اللمسِ. فأنا تلك المخمومةُ الفؤادِ لك، الغنيَّة عن العالمين بك، جيشُكَ حين حاجة، وقلبٌ مُوَطَّأٌ لك وحدَك، أما علمْتَ أنك لي كلُّ الحياة؟

أنا أعلم أنني لست إلا جزءا من عالمك، لكنك حبا بالله يارجل!!
أكرِمْ نزلي ...أكرمني أنا!
ولتدرك! أنك عالمي كله!
وأن كل دوائري .. هي أنت .

#أمي_دجلة